ريفيات فرجيل

الرعية الأولى

المقدمة

[illegible] الأمر لأوغسطس واستوى على عرش الأمبراطورية الرومانية [illegible]
القدماء [illegible] على خدماتهم السابقة بأن وزع بينهم كل الأراضي الواقعة بين [illegible] وما
[illegible] عاد منها مالكيها الشرعيين . وكان فرجيل أحد أولئك الذين [illegible] بهم
الذين [illegible] فلما يصد أن يستعيد أرضه بعد أن توسط ماكينا له عند [illegible] .
فألف [illegible] الرعية اعترافاً بجميل ماكينا مثّل فيها حسن حظه بشخص [illegible]
[illegible] من أهل مانتوا بشخص ميليبوس .

[illegible] التي تلقيها أغصان أشجار الزان تجلس يا تيتيروس [illegible]
[illegible]

[illegible] في العالم الواسع غرباء . أخرجنا من حقولنا المرتفعة [illegible]
بينما [illegible] الحب السعيدة . تتمطى في راحة . وأماريليس بلا انقطاع [illegible]
[illegible] يا صديقي فيض معبود . فما يمكن أن أتصور أبداً أن يصير [illegible]
[illegible] ولو متاح لأقاسي سأسيل دماءها دائماً قرباناً على [illegible]
[illegible] في [illegible] الرعي السهول المزهرة . وجدّد لي [illegible]

[illegible] حسن حظك ، ولكني أعجب من [illegible]
[illegible] حظك من كل جانب لا تقرب السيرن المعادية أرضك [illegible]
[illegible] فعل النقيض مما تبت . بعد أن وضعت ماعزاتي [illegible]
[illegible] الصخار التي كانت الأمل المرجو والنتاج المؤمل من القطيع [illegible]
[illegible] تسرق تلك الماعزات من حظائرها المهجورة . يودعها الألم [illegible]

[illegible] على قرب وقوع كوارث الكبرى ، واطلعتني على آتٍ مأساة [illegible]
[illegible] لم أر قط تلك البلوطة القريبة عروس الغابة إذ انشقت والخراب [illegible]

الغصن الملعون ونمق . وكان نصبه في الناحية اليسرى . كانت هذه هي النذر ولكن قل لي يا تيتيروس أيقفوة في السماء حفظت عليك حالك وأبقت عليك مالك في تلك الساعة الخطيرة ؟

ت : كنت من الحمق بحيث ظننت أن روما الامبراطورية كانتوا إذ تحضر فيها أيام الأسواق وقد سقنا أماسنا حملاننا الوديعة من بيوتنا .

وكانت الماعزات عنوان سادتها ورباتها وموضع مقارنة بين مالكيها .

ولكن مدن الريف إذا قورنت بها بدت كصغار الشعب حين تكون الظابات قريبة .

م : وأية مناسبة كبرى إذن ساقتك من هنا إلى روما .

ت : الحرية التي جاءت أخيراً وإن كانت قد جاءت على مهل .

ولم يبدأ يحني عن الحرية إلا بعد أن تبدل لون سيتي . ولما جاء آمل بقيوس بنظرة حتى خرقت أوهن روابط جالاتيا .

وحتى ذلك الحين كنت طريداً ريفيًّا لا أمل له ولا معين . لا ينشد الحرية ولا يأمل في كسبها ، فرغم أني بعت الكثير من مواشيي ، ومن أني حملت إلى الأسواق كثيراً من الجبن إلا أن التقبل الذي تيسر لي كسبه ضاع . وحدت أفرغ مما فحبت .

م : أدهشنا أن نرى زوجك تزدري الموادا غير عالمين أنها واطئة حتى تعود .

وتساءلنا في عجب . لم أبقت فاكهتها طول ذلك الأمد ؟ ولمن بقي التفاح على أغصانه دون جني حتى فات أوانه ؟

ولكن الآن يذهب العجب فهي أبقت كل ذلك لك يا تيتيروس .

من أجلك بدت البنابيع الدافقة حزينة وأقسمت الأشجار المتهامسة أنك ستعود .

ت : وماذا كنت أفعل ؟ هنا كنت مقيداً ولم يعد هناك أمر من حرية سماوية .

وما كنت لأفكر في مكان آخر سوى هناك أجد فيه إلهاً مجيباً لصلاتي .

فرأيت أول من رأيت ذلك الشاب سليل الآلهة الذي تذهب اليه قديتنا شهراً بعد شهر وسمع شكاتي وأعلن في أريحية أمره بأن تحفظ على أرضي وقطعاني التي كانت لي أولاً لقرعاها .

م : أيها الرجل المجدود ! الذي بقيت له مزارعه — تكفيك — وتزيل عنك آلاماً رغم أنها تمتد في السهول ، ورغم أن الأرض الحافلة بالمستنقعات تقترب من حقولك وهي لا تنتج إلا الحصى فلا عجب في أن تترك لعاجك الولود المراعي دون أن تخشى مضايقة من شركاء مفسدين .

أنظر ! هذه الأشجار الصفراء التي تجد أرضك قد أزعرت وغشيت أزهارها النحل ،

النحل الشغالة ذات الطنين العذب الدائم الذي يبعث الشبان العاملين على النوم الهادىء .

بينما يأتي صوت مشذب الأشجار من الصخور المجاورة وهو يغني أغنيات ريفية فيطيل الأحلام الجميلة . وبينما تشكو الحمائم آلام الحب وتبث أشجار الغابة أشجان ذلك الحب .

ت : سيتبادل سكان البحر وسكان الهواء في سكان الأخرين ، وسيستقر السمك على البر وستطير الغزلان في الهواء . وسيقيم الفرسان المنفيون على حدود آرار وسيشرب الألماني الأزرق التيجريس .

وهاءنذا قبل أن أنسى الاعتراف بالجميل والحقيقة نسيت صورة ذلك الشاب الالمي .

م : أما نحن فسنمضي الى خبزنا في أجواء مجهولة . في الأقاليم الملتهبة أو في الأقطار المتجمدة . وسيباع بعضنا في الواحات المنعزلة أو يشق بحرارة ليبيا أو صقيع سيبيريا . والباقون سيفترق بين البريطانيين منبوذين من جميع العالم .

لعمري اهل قدر على المنفيين التعساء أن يظلوا في جزرهم سادرين . أم قدر لهم أن يعودوا بعد كر السنين ؟

هل حكم علينا القضاء حكمه الجائر بألا نعود نرى بيوتنا ولا أوطاننا ؟ . أم قدر لنا أن نتبوأ عرش ريفنا مرة أخرى ونسيطر على دولة الريف التي كانت لنا يوماً ما ؟

هل كنا لهؤلاء البرابرة نزوع ونبذر البذور ؟

وهل قدر على حقولنا أن تقمص خيراتها على هؤلاء وهؤلاء وحدهم ؟

يا للسماء ! أية مصيبة تتكشف عنها هذه الفوضى المدنية !

والآن دعني أقطف كتراي وأقلم الكرم . فالثمار لهم وليس لي من نصيب سوى السل وداعاً يا ربي . يا كنز آبائي ويا حقولي المثمرة ويا قطعاني الأكثر انتاجاً !

لن أراك ثانية يا ماعزاتي وانقٌ تتسلقن المرتفعات الوعرة . أو ترعين الأعشاب المزهرة ، ولن أراكنّ منتشرات في سفح الجبل ترعين الأعشاب الجبلية أزهارها فأعوادها المجردة . ولا وأنتّ تهبطن المنحدرات الشديدة حتى لكأنكنّ معلقات في الفضاء !

لن ترشف غنمي ندى الصباح ولن تكون لي أغان تبهج أهل الريف .

وداعاً يا مزماري الزاخر بالأنغام . ووداعاً أيتها الدنيا وداعاً !

ت : في هذه الليلة على الأقل اقض همومك معي . فالقسطل واللبن والفشفشة ستكون غذاءك . وسيكون بساط الأرض مفطى بورق الشجر . وستنسج الأغصان غطاء لرأسك فأنت ترى أن ظل التلال يمتد . وان الدخان يتصاعد من الأكواخ .

عبد المنعم صادق